. محمد إبراهيم خليل	الرحلة في طلب العلم وأثره في تكوين الباحث في علوم القرآن إبن العربي نموذجا	جامعة تكريت	العراق	alsamaraie2000@yahoo.com 009647702525974

المقدمـــــــــــــة

الحمد لله الذي لايحيط بعلمه أحد ولا يدرك ملكوته بحد الذي علم بالقلم ، وزاد من ارتضاه علماً وفهّم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد العرب والعجم ، المعلم الأول للأمة والملهم ، وعلى آله وصحبه وسلم 0

هذا بحث ركز موضوعه على الرحلة والسفر لمطالب العلم الذي يروم التحصيل وحصاد الفوائد بالمثابرة ولقاء الشيوخ ، وكانت الفكرة من ورائه أن طالب علوم القرآن يمكن له الإبداع في هذا الفن وتعليمه في الدراسات الأولية والجامعية مبيناً على تعلم مستفاد من رحلة أحد الشيوخ الأجلاء ألا وهو أبو بكر بن العربي الأندلسي و قد قسمت البحث على النحو الآتي :

أسمه ونسبه مختصراً

مبحث أول : مطلب أول

- ابتداء طلب العلم
- السفر في طلب العلم
- مايلاقيه طالب العلم
- التوصل إلى المطلوب من العلم
- معرفة الرب
- معرفة النفس
- المقصود من هذه المعرفة

مطلب ثانٍ

- ذكر علوم القرآن
- ذكر أقسام العلوم
- بيان أن العلم قبل العمل
- ذكر علم الأنبياء

- ذكر التوحيد
- ذكر الأحكام
- المقصود من هذه المعرفة

مطلب ثالـث

- ذكـر المعلـم
- ذكر الكتب التي يقرأها المبتديء
- ذكر التدرج في التلقي
- ذكر حفظ كتاب الله والقراءة على الشيوخ ص 117
- العربية وعلومها
- لقاء الشيوخ والعلماء
- ما يتوصل إليه من هذا البحث
- أهم النتائج

المبحث الأول

1- أسمه ونسبه :

هو محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي من مدينة أشبيلية ، صاحب التصانيف ولد سنة 468 0[1]

شيوخــه :

سمع الكثير وأكثر من الشيوخ بالأندلس وغيرها حيث عرف بالرحلة إلى المشرق رحمه الله[2]

سمع ابن حزم بالأندلس وأكثر عنه ، سمع من الصاغاني في بيت المقدس[3]

وفي بغداد سمع طراد الزينبي وأبن البطر والطيوري ومن الغزالي وأبي بكر الشاشي[4] 000 وغيرهم وفي الشام سمع نصر بن إبراهيم المقدسي وأبن الفرات 0

وأهم تلامذته :

عبد الخالق بن أحمد اليوسفي ، والحافظ أبو القاسم السهيلي ، وأحمد بن خلف الأشبيلي وخلق0[5]

---

(1) الصلة ، لأبن بشكوال 590/2 ، بغية الملتمس رقم 179 وفيات الأعيان لأبن خلكان 296/4 ، سير أعلام النبلاء للذهبي 197/20 ومصادر ترجمة كثيرة 0

آخرون ، الدكتور عمار الطالبي 00 والأستاذ محمد السليماني عن تحقيقه كتاب قانون التأويل لأبن العربي 0

(2) تذكرة الحفاظ 1151/3

(3) المصدر نفسه

(4) سير أعلام النبلاء 200/20 0

(5) الصلة 590/2 0

مكانته العلمية

قال الذهبي[1] : صاحب التصانيف ، جمع في فنون العلم وبرع وكان فصيحاً بليغاً خطيباً ، صنف كتاب عارضة الأحـوذي في شرح جامع الترمذي وفسر القرآن المجيد فأتـى بكل بديع ، واشتهر أسمه وكان رئيساً محتشماً وافر الأموال بحيث أنشأ على أشبيلية سوراً من ماله 0

ثم قال : كان القاضي أبو بكر ممن يقال : أنه بلغ رتبة الاجتهاد 0

وفاتـــــــه :

كانت وفاته رحمه الله سنة 543 هجريـة 0

المطلـــب الثاني: طلبـه للعلـــــم

إن للبيت أثراً كبيراً في تكوين الإنسان وإذا كان هناك مايضاف إليه للأستزاده فهو الانطلاقة الصالحة والبدىء الصحيح ، إذ كان للأب[2] العالم المربي الذي تفرس بولده حيث بدأ بـه بأول خطوة حينما أحضر له معلماً للقرآن الكريم ، ولما بلغ التاسعة أتخذ له ثلاثة معلمين 0

أحدهما لضبط القرآن بالقراءات والأحرف السبعة 0

الثاني : لعلم العربية

أما الثالث : فلعلم الحسبان ، وفي هذا المقام يبين لنا دور أولئك المعلمين بقوله : يتعاقبون على هؤلاء المعلمون من صلاة الصبح إلى صلاة العصر ثم ينصرفون عني ، فلا تتركني نفسي فارغاً من مطالعة أو مذاكرة أو تعليق فائدة وأنا بغرارة الشباب أجمع من هذه الجمل مايُجملُ ومالا يجمل 0

والقدر يخبؤها عندي للانتفاع بها في الرد على الملحدين والتمهيد لأصول الدين 0

وحيناً قد أفصح عن حقيقة الطلب وعقد النية لأجله وأن مايحتاجه طالب علوم القرآن إلى التعليم المبكر على أحسن صورة[3] 0

---

(1) تذكرة الحفاظ 1151/3 0

(2) هو عبد الله بن محمد ابن العربي مات 460 هجرية ، أنظر سير أعلام النبلاء 130/19 0

(3) قانون التأويل 0

2- الرحلة في طلب العلم :

كل عالم من علمائنا ممن كانت له رحلة كان له هناك سبباً لها ، ومن أهم الأسباب المشتركة لجميعهم هو الاستزادة من العلوم ولقاء الشيوخ ، وأبن العربي القاضي صور لنا مشهد ولعه للخروج والسفر في الطلب حيث يقول : لما حضر أحد السماسرة وهو يحمل رزمة من الكتب التي جلبها الإمام الباجي من الشرق صدع كبدي 000 ونذرت في نفسي طيَّة ، لئن ملكت أمري لأهاجرن إلى هذه المقامات ولأفدن على أولاء الرجالات [1] 0

لاشك أن للقاضي قد سطر ماوقع له وهو مسافر يمر بالمدن أو عبر البحار حيث أستخرج من كل موقف فريدة ومن كل لقاء قلادة 0

3- مايلاقيه طالب العلم

حينما تكون الرحلة بين البر والبحر وتسجل الأحداث ، يكون الحديث عنها ذو شجون بعد البحر ينزل بجاية [2] ويقول لقيت بها محمد بن عمار الميورقي[3] فذاكراته ومما قلت لهُ : سمعت شيخنا التنوخي شيخ العربية يقول: ليس في كلام العرب أسم فيه فاء الفعل حرفاً واحداً إلا قوله : هذا الحديث (ياببوس)[4] فقال لي على البديهة وأين هو من (دَ دِ)[5]0 فأعجبني استدراكه وهو في بلده فتى ، على شيخ بلدي في معرفته وسنه ، وكان ذلك مما رغبني في تحصيل العربية وضبط غريب الحديث ، وقرأنا فيها كتاب أبي داود برواية التمار[6] ، ثم تستمر رحلته إلى الحجاز ويقف عند مالاقاه في البحر ،إذ يقول : وقد سبق في علم الله أن يعظم علينا البحر خروج الميت من القبر وانتهينا بعد خطب طويل إلى بيوت كعب بن سليم [7] ، ونحن من السغب على عطب ومن العري في أقبح زي

---

(1) قانون التأويل لأبي بكر بن العربي ص 420 0

(2) مدينة على ساحل المتوسط في الجزائر اليوم معجم البلدان 329/1 0

(3) أحد شيوخ أبن العربي ، التكملة لأبن الابار ص 403 0

(4) هو علي بن عبد الرحمن ت 514 من أهل أشبيلية الصلة لابن بشكوال ص 404 0

(5) أحد الرواة ،اسمه محمد بن بكر بن محمد المشهور بابن داسة، فهرس بن خير103،تهذيب التهذيب70/4 0
(6) بطن كبيرة من العرب كانت مساكنهم ببرقة مدينة من ليبيا الآن ، نهاية الأرب 1/ 341 0
(7) البخاري 64/2 ، صلاة الجمعة 0
(8) مسند البزار 345/12 مسند أنس، المعجم الكبير 343/19 مسند معاوية وهذا حديث صحيح 0

ولربما يريد أن يخبرنا عن العزيمة والصبر على المشاق الذي لايثني طالب العلم عن التحصيل والبغيـة 0

4- التوصل إلى المطلوب من العلم :

بقي ابن العربي شغوفاً للطلب وهو يدخل العراق ويستمر المسير إلى بغداد فيقول وجئت بعد المقام بها مجلس حسين الطبري[1] ثم انتقلت إلى مجلس مؤيـد السنة أبي سعد الحلواني [2] قال ثم ورد علينا **داتشمند**[3] فنزل برباط أبي سعد فمشينا إليه وقلت : أنت ضـالتنا الذي كنا ننشد وإمامنا الذي به نسترشد 000 فأنه كان رجلاً إذا عاينته رأيت جمالاً ظاهراً ، وإذا عالمته وجدت بحراً زاخراً ، وكلما اختبرت احترت ، فقعدت رباطه ولزمت بساطه واغتنمت خلولته ونشاطه ، وكأنما فرغ لي لأبلغ منه أملي وأباح لي مكانه ، فكنت ألقـاهُ في الصباح والمساء والظهيرة والعشاء 000 ثم شرعت في القراءة عليه والسماع 000 فواساني مواساة الوالد ، وآساني بما لم تنله الجماعة ولا الواحد ، فلما طلع لي ذلك النور وانجلى عني ماكان يغشاني من الديجور 0

قلت هذا مطلوبي حقاً 000 وليس التحصيل بطول الصحبة ، وإنما هو فضل من الله وموهبته[4] ، ثم يتابع مسيرته العلميـة والغاية منها حيث يقول : وكنت أبان طلبي في الأقطار ، ودرسي آنــاء الليل والنهار ، ولقائي أولـي البصـائر والأبصـار ، لاأمـل لـي إلا التشوف إلى المقصد الاسنى ، المنتحى في كل معنى وهو معرفة الله تعالى ، لانا إن نظرنا في العالم 000 إنما نبتهل بـه ، ونقبل بوجه النظر إليه من حيث أنه صنعة الله[4] 0

وإن نظرنا في النبي صلى الله عليه وسلم لم ننظر إليه من حيث أنه آدمي أو قرشي أو ذو منظر بهي ، وإنما ننظر فيه حيث أنه رسول الله 0

وإذا نظرنا إلى أعمالنا 000 حيث أنها خدمة الله أو تخالف أمر الله ، فالمقصود بكل نظر

---

(1) الحسين بن علي الفقيه محدث مكة ، رحل إلى بغداد فدرس بالنظامية ت 489 هـ 0

(2) يحيى بن علي البزاز ، درس في النظامية ، ت 529 هـ 0

(3) معناه ، الحكيم الماهر بالفارسية ، قانون التأويل 450 0

(4) قانون التأويل ، 454 0

وفي كل قول وعمل إنما هو الله سبحانه[1] ثم يلخص ملاحظاته 000 حيث يقول : فتخلص الاعتقاد وتحل المـراد ووقف الأمر على **قسمين** :

ذكر معرفـة النفس، وذكر معرفـة الرب

معرفـــة العبـــد نفسـه :-

إن معرفة العبـد نفسـه من أولـى المعارف لأن بـه يتوصل إلى معرفـة ربـه قال تعالى: **"وفي أنفسكم أفلا تبصرون"** [2] **وقال تعالى " والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة"** [3] فلا إخراج أنفسهم علموه ، ولاوصـف ربهم عرفوه ، ولا شاورهم فيه 000 فخلق السمع لخطابه ، والبصر للاعتبار بـه والأفئدة لمقر علمـه ، ومعرفة العبد نفسه من سلالة من طين لئلا يعجب بها ولئلا يتعجب أحد من سوء فعلـه ، ثم قال سبحانه "ثم أنشأناه خلقا آخر"[4] ليعرفك أن الشرف والقدر إنما هو للتربية لا للتربة ، ومن هنا يجعل نظر العبد في نفسـه أنه موجود لغيره والمقصود هنا للواحد، فإذا كان كذلك فأنك بأي شيء بدأت فعند الباري تعالى تقف، وهذه الخطوة الأولى ليستدل العبد بنفسه على ربه0

معرفـة الـــرب :

لمـا علـم الإنسان أن الله خلقه في أحسن تقويم توجه بفطرته إليه مردداً (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه)[5] وكي يفهم أن الخالق غير المخلوق وأنـه مستحق التعظيم ، كيف لا وهو يقرأ في كتاب الله الآيات البـاهرات من خلق السموات إلـى أصـغر مخلوق فقال تعالـى : **"أفلا تبصرون", وقال تعالى "لقوم يؤمنون" وقال تعالى " لقوم يعقلون" وقال تعالى "ومايعقلها إلا العالمون"** .

---

(1) قانون التأويل 455 0

(2) الذاريات 21 0

(3) النحل 78 0

(4) المؤمنون 143 0

(5) لقمان 31 0

وبما تعلمنا من صفات الله تعالى الباهرة (هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى) **الحشر** (ذلكم الله خالق كل شيء فأعبدوه) **الأنعام**0

ذكر القاضي أبو بكر ما نصه :

(البارىء تعالى هو العالم الأعظم ، وهو العلم الأكبر، فأنه أوصل العلم إلى العالمين من عباده وذلك بعدة طرق :-

الأول : أن يكون ما يخلق ابتداءً في النفس كعلم المبتدأ والعاقبة إلى آخر العلوم الضرورية 0

الثاني : تعليم النظر والتركيب في المعارف حتى يعلم مما علم ما كان جاهلاً 0

الثالث : تعليمه التكلم باللسان والعبارة عما في الجنان من الكلام 0

الرابع : تعليمه الكتابة [1] 0

ويضيف أيضاً : ولا يجوز له شبه في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله [2] **0**

قال تعالى : " فكبكبوا فيها هم والغاوون. وجنود إبليس أجمعون. قالو وهم فيها يختصمون. تالله إن كنا لفي ضلال مبين. إذ نسويكم برب العالمين. وما أضلنا إلا المجرمون" [3] **0**

---

(1)الأمد الأقصى ق 89 / أ 0

(2) قانون التأويل 463 0

(3) سورة الشعراء ، الآية 94- 99 0

المبحث الثاني

المطلب الأول : ذكـر علـوم القرآن

إن العالم والمتعلم لابــد أن يتحقق عندهما أن كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بيان لكل معلوم ، وليس بالإمكان ان يحيط العالم بكل شيء حتى بجملتها ، لأن الله تبارك وتعالى يقول : "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" (1) والمقصود أن لايفوت العالم أن المطلوب هو التوصل إلى العلم الأقصى ، وهو معرفة الله تعالى ، والمتقدم على العلوم متقدم على طلبها في معرفة أقسامها وهي على طريق التفصيل لاتحصى ، وفي هذا يقول الله تعالى : "ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم" (2) فالقاضي أبو بكر بن العربي يجعل أقسام علوم القرآن على ثلاثة أقسام (3) :

علم باللفظ ، وعلم بالمعنـى ، وعلم بوجه دلالة اللفظ على المعنى 0

وفي موضع آخر يقسمها على ثلاثة أقسام مختلفة (4)

(1) قسم يثبت في النفس ابتداءً 0

(2) قسم يعلم بالحواس 0

(3) قسم يعلم بالقياس على هذين القسمين وهو الأكثـر 0

ثم قال ويقسم من حيث متعلقاته إلى ثلاثة أقسام :-

(1) معرفة الله بذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه وهو المطلوب0

(2) معرفة أفعال المكلفين 0

(3) معرفة الجزاء في الآخرة 0

---

(1) سورة الإسراء ، الآية (85) 0

(2) سورة لقمان ، الآية (26) 0

(3) قانون التأويل 510 0

(4) السراج ق 50 / أ – ب 0

ثم يقول[1] ولو قلت أنه يرجع إلى قسم واحد هو معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله لدخل ذلك كله فيه وأنتظم بـه 0

وهناك تفصيل جميل في كتابه الماتع قانون التأويل لامجال له هنا في هذا الحديث 0

بيان أن العلم قبل العمل :-

تقرر في عرض الغاية من خلق الإنسان إنها العبادة ولاتأتي إلا بمعرفة الرب سبحانه ، وتبيـن أيضـا أن معرفـة العمـل النافـع هـو مايحصل بـه المطلوب ، قال تعالـى: **أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم"** [1] 0

فتبين أن معرفة الله هي بالعلم ، وإن القرآن الكريم قد أشار إلى سلوك الباحث عن العلم عن طريق التفكر والمقارنة ، حيث يقول عن سيدنا إبراهيم (فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل فقال لا أحب الآفلين) [2] ، إلى قوله (إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين) [3] ، دلت هذه الآيات بلا شك أن إبراهيم عليه السلام بعد البرهان أعلن الخضوع لله بالطاعة والتوحيد والبراءة من الشرك والمشركين 0 والتقوى تزيد الإنسان وتكسبه العلم ، كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم وكما ذكر قبلهم القرآن الكريم: **" واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم"**

ذكر علـم الأنبيـــــاء :-

يذكرنا القرآن الكريم بدعوة الأنبياء كلهم هي دعوة واحدة (أعبدوا الله مالك من آله غيره) ، أنما جاءت من اصطفاه لهم قوله (**أن الله أصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين**) وقوله تعالى (**اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم**) وقوله (**علمك مالم تكن تعلم**) دللت هذه الآيات على مايلي :-

(1) اختيار الله لهم 0

(2) منزلتهم وفضلهم على الخلق 0

(3) تميزهم عن الخلق بالعقل الراجح والتسليم المطلق لله رب العالمين 0

فعلمهم علم النبـوة ورسالة علمهم الله تعالى إياهـا 0

---

(1) السراج ق 50 / ب 0

(2) الأنعام 0

(3) الأنعام 0

بـاب التوحيــــــــد :-

ربنــا جــل ذكــره يقول : (**والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**)

إن شهادة التوحيد التي يدين بها الإنسان المؤمن هي فرض عليه إذ بها يعاين الواحد الأحد المستحق العبادة بمعرفة فضائلها[1] ، وخاطبت الآية الكريمة مذكرة العبــاد إعلموا وأخضعوا للمتفرد المطـاع 0

فبالعلم يتوصل الإنسان على ما وهبـه الله بالفطرة إن الله تبارك وتعالى أراد من العالم أن يعلــم الناس ويرشدهم إلـى وحدانيته وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قـد علـمَ الصحابة ما يقارب العشرِ سنين مسائل التوحيد والقرآن ينزل عليـه 0

ذكـــــر الأحكــــــام :

إن الأصل بهذا هو تذكير الناس بحاجتهم إلى المنع للإصلاح[2] إذ هو معنى حكم وله معنى آخر هو المنع بالحكمة ، وحكم الله في كتابه العزيز هو جعل المؤمن يلـزم نفسه بمـا لـه ومـا عليـه ، ولمـا كانت ((**الحكمة ضالة المؤمن**)) فلابـد أن يوقن إنها (**إصابة الحق بـالعلم والعقل**) فصـار هنا أن الأحكام من الله جـاءت بنــــاءً علـى معرفة الأشياء وإيجادها على غايـة الأحكام والإتقان والله جل ذكره حينما قال : (**إن الله يحكم مايريد**) ، إن مايريده الله يجعله حكمة وذلك حث الناس على الرضا بما يقضيه 0

إن حاجــة الناس لمــا يمـر بهـم في سيرتهم وحياتهم أن تكون على صواب وصـلاح ، ولهذا جـاء القرآن بالحلال والحرام وفصل بينهما ، وجـاء بالآيـات التـي تدير شؤون الحياة لكل تفاصيلها فالأحكام الشرعية ، والقضايا الفقهية وسائل مقاصد المكلفين ، ومناط مصالح الدنيا والدين وأجل العلوم قدراً ، وأعلاها شرفاً وذكراً ، لما يتعلق بها من مصالح العبــاد ، في المعـاش والمعـاد[3] 0

---

(1) قوت القلوب 2/ 83 0

(2) المفردات في غريب القرآن 134 0

(3) المفردات 134 0

فأصبح من الواضح والضروري أن يعلم المؤمن إن من مستلزمات إيمانه أن يحكم الدين في حياته

" فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك في ماشجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما [1] **0**

والقاضي أبو بكر يتكلم عن معرفة الأحكام فذكر آيــة من كتاب الله ثم بين ان فيها سبع عشرة مسألة

"يا أيها النبي إنـا أحللنا لك أزواجك اللاتي هاجرن معك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللتي هاجرن معك وإمرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكي لا يكون حرج وكان الله غفورا رحيما [2] **0**

والمطلع على ماكتبه يظهر لـه جليـاً إن الآيـة جاءت بأحكام وبنت أحكاماً وكل ذلك جاء يعلم ولما قرر الكلام عنها جاء بالمعاني من اللغة والروايات الصحيحة حتى إذا بلـغ الكلام على سبب النزول فقال : لـم يثبت بطريق صـحيح إنمـا هـي نقولات لـم يتبين لـي صحتها 0

فهنا بيـن مايأتــي :

(1) أهمية الانقيـاد لتوجيهها المولى سبحانه 0

(2) استنباط الأحكام المتعلقة بها بالروايات الصحيحة 0

(3) إن هذا كلـه طريقة العلـم 0

(4) الغرض الاحتكام لمنهج الله والخضوع لـه 0

(5) التلذذ بالعمل أسوةً بالنبي صلى الله عليه وسلم 0

---

(1) سورة النساء ، الآية (65) 0

(2) سورة الأحزاب ، الآية / 50 0

علـم التذكيـــــــــر :

هو علم يعرف بـه ماهو سبب الأنزجار عن المنهيات والانزعاج إلى المأثورات من الأمور الخطابية المناسبة لطبائع عامة الناس 0

ربنـا جل وعـلا قال: "فذكر بالقرآن من يخاف وعيد" [2] 0

فدل على أن علم التذكير معظم القرآن الكريم ، فأنه ينبني على معرفة الوعد والوعيد والخوف والرجاء والقرب والذنوب وما يرتبط بها ويدعو إليها ويكون عنا ولاشك أن حقيقة التذكير يكون موافقاً للنفس والبدن ديناً ودنيا ، وإذا بسط هذا أتسع مقداره 0

ويؤخذ التذكير كل باب منه مفرداً ، ثم يضاف في البيان إلى نظيره ، والشاقة أو بسط البيان بالعلم طريقة لعرضه أو شرحه 0

والتذكير يكون تـارة للنفس وتـارة أخرى للغير، وقد دأب الصـالحون ومن قبلهم الأنبياء أنهم قـد أبتدأوا بأنفسهم قبل غيرهم حتى إذا تحقق فيهم وهو لاشك متحقق انتقلوا إلى غيرهم.

والتذكير علم قائــم يحتـاج إلـى مـذكر ومـاهي صفتـه ، وكيفيـة التـذكير ، والغايـة من التذكير ومن أين يستمد المذكر تذكرته ، ومن بعد ذلك من المستمع ، والآداب التي يتحلى بها كل من المذكر والمستمع وصولاً إلى الآفات المهلكة والأوقات المناسبة للتذكير وكل ذلك وزيادة مبسوط في كتب أهـل العلـم ، والغرض من هذا كله ، الحث على تكميل النفوس بالعلم[3] والعمل ، وغايته الفوز بالسعادتين الدينية والدنيوية

---

(1) مفتاح دار السعادة 551/1

(2) سورة ق ، الآية /45 0

(3) أجد العلوم 2/ 535- 536 0

(4) مفتاح دار السعادة 2/ 551

المبحث الثالث

المطلب الأول : ذكـر المتعلـــم

إن ما يجمع العالم والمتعلم هو العلـــم وهذا لأمرين فيه وأن شرف الشيء أما لذاته أو بغيره ، والعلم حائز الشرفين جميعاً لأنه لذيذ في نفسه فيطلب لذاته ، ولذيذ لغيره فيطلب لأجله 0

وكون العلـم ألذ الأشياء وأنفعها ، فإن كان للـذة فأنه لايخفى على أهلـه ، فإن العالم يعلـو شأنه ويطير ذكره ، وما ينالـه من عـز حتى يتمنى الكثير عزهم كعز أهل العلـم 0

وكون العلم للنفع وهذا واضح جلـي ، فإن السعادة منحصرة في **قسمين** :

جلـب المنافـع

دفـع المضـار

فالأول : هـــو ما يجلب المنافع الدينية الخفية والجلية 0

والثاني : ما يجلب من المنافع الدنيوية 0

ثـم ما يجلبه من الوجاهة والرتبة ، أمـا عند الله سبحانه أو عند غيره 0 ثم مايندفع به من المضار الدنيوية وهذا كله يعود على المعلـــم 0 وقوله صلى الله عليه وسلم ((**تعلموا العلم 000 وتعلمه لله خشية وتعليمه لمن لايعلمه صدقة**)) **0**

ومعلوم أن العلوم تقوم مقام الرأي السديد إذا أستبشر، إذ هو دال لصاحبه على السراء وأسبابها وعلى الضراء وموجباتها ، وجهل عواقب الأمور مؤلم للنفس لفقد نور البصيرة ، فالعلـم يريـح من تلك الهموم والأحزان(2) 0

فالعالـم أنواع ، وعليه واجبات ، ولابد أن يحملوا صفات ، والمبـدأ في تعلمِهم وقفات 0

---

(1) جامع بيان العلم وتحصله 238/1 قال حديث حسن 0

(2) أبجد العلوم 117/1 0

(3) مفتاح دار السعادة 100/1 0

ذكـر المبتـدئ المتعلـم :-

إن للتعليم فضيلة عظيمة وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون "[1] فهي دعوة واجبة للتعلم وقوله صلى الله عليه وسلم : **((من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ، سلك الله بـه طريقاً إلى الجنـة))**[2] وهنا دعوة ترغيب 0

يقول طاش كبري زادة[3]: وأعلـم أن العقل كالبذر والعلم كالشجر ، والتقى كالثمر ، فقدم المولى سبحانه التقى على العلم والعلم على العقل 0

والتعلم المبكر مهم جداً في رسوخه في العقول والقاضي أبو بكر يحكي تجربته وهو مبتدئ حيث يقول عن أبيـه وعنايته بـه وهو يستخلص تجربته في شروط التعلـم [4]

التدرج في التلقي :

أن العالم المتبحر مثل القاضي غالباً ما يتكلم عن مبتدأ طلبه للعلم وذلك ليتشوق من أراد الوصـول ويشـحن الهمـة من أراد البغيـة ، ونجـدهم أول مـا يتكلمـون عنـه هـو التلقـي والمتلقين وذلك لصغر السن وقد وجدوه مفيداً إذ كان على التدرج شيئاً فشيئاً ، إذ يتلقون مسائل من كل باب من الفن الواحد إذ هي أصول ذلك الباب ، ودور المعلم التلطف وشرح تلك المسائل على الأجمال ، وهو بذات الوقت يراقب قوة عقل الطالب وكم هو استعداده لقبول ما يتلقاه من ذالك الفن حتى ينتهي إلى آخره ولاشك أنه يحصل للطالب عند ذلك العلم أو الفن ، وغاية هذا هو تهيأ الطالب للفن ، ثم يعود بـه إلى الفن فيرفعه بالتلقين إلى رتبة أعلى من الأولى بالشرح والبيان ومعرفة الخلاف إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته ويتوقد فهمه وذهنـه ، هذا وجه التعليم المفيد عندهم وهو كما مر أنه يحصل في ثلاث تكرارات ، وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك 0

---

(1) سورة التوبة ، الآية / 122 0

(2) سنن الترمذي 1/

(3) مفتاح دار السعادة 2/ 552 0

(4) قانون التأويل 251 0

من هذا المختصر يظهر مايأتي: [1]

(1) على المعلم أن يعرف طرق التعليم 0

(2) معرفة التدرج في العلوم وطرقه 0

(3) الإحاطة بسياسة الطلاب 0

(4) أن لايثقل على الطالب 0

(5) أن لايطيل على الطالب بتفريق المجالس 0

(6) وأضافوا واحدة أخرى هي أن لاتجمع للطالب في آن واحد أكثر من معلم 0

<u>ذكـر أخـذ القراءات على الشيوخ :-</u>

أن القاضي رحمه الله من بيت علم ، فالاهتمام المبكر كان منصباً على الولد ولاشك إذ هيأ لولده معلماً للقرآن الكريم حتى حفظ الابن كتاب الله إذ يقول : حتى حذقت القرآن في العام التاسع ، ثم قرن بي ثلاثة من المعلمين أحدهم هو لضبط القرآن بأحرفه السبعة التي جمعها الله ونبهه الصادق صلى الله عليه وسلم عليها بقوله : ((**أنـزل القرآن علـى سبعة أحرف**)) [2] 0

فلم يأت علي ابتداء الأشد في العام السادس عشر من العدد إلا وأنا قد قرأت من أحرف القرآن نحواً عشرة ، بما يتبعها من إدغام وإظهار ، وقصر ، ومد ، وتخفيف ، وشد 000 وتفخيم 0

القاضي أبو بكر أخبرنا أن دور المعلم الثاني قد أخذ عنه من العربية فنوناً وتصرفت فيها تمريناً ،

هنا نستنتج من هذا مايأتـــــي :-

(1) حفظ القرآن بإتقـــان 0

(2) تعلم القراءات السبعة 0

(3) إردافها بتمام العشرة 0

---

(1) أبجد العلوم 118/1 0

(2) البخاري 338/6 فضائل القرآن الكريم ومسلم 301/1 صلاة المسافرين 0

(4) أخذ العلوم الملحقة بالقراءات 0

(5) أخذ العلوم المساعدة على فهم القراءات والأحرف ، منها العربية وتصاريف الكلام 0

(6) إتقان علم القراءات وإتمامه بعلم التجويد لكل قراءة 0

<u>العربية وعلومها :-</u>

إن النباهة والفطنة وحاجة المتعلم لعلوم شتى في تكوينه ، وعلوم العربية من لغة ونحو وتصاريف كلام العرب لابد منها فإنها الملكة في ضبط العلوم والفصاحة والبلاغة التي يحتاج إليها العالم والمتعلم معاً، فدراسة كتب الأقدمين على أيدي المعلم الماهر ضرورة ملحة.

إن قراءة أمهات الكتب التي لايستغنى عنها في وقت التلقي هي شغف الطالب وغايته وأبن العربي قد قرأ الكثير ومن الكتب التي قرأها ، الإيضاح لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي ت 377هـ وكتاب الجمل لعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ت 337 هـ وكتاب النحاس لأبو جعفر أحمد بن محمد ت 338 هـ والأصول لأبن السراج ت 306 هـ وغيرها من الكتب ، مع قراءة الأشعار منها شعراء الجاهلية ، وقراءة كتب اللغة والمنطق 0

أنا ألخص هذا بمايأتـــــي :-

(1) أهم الكتب وأمهاتها 0

(2) اختيار المعلم بما ينفع الطالب

(3) تنوع علوم العربية 0

(4) الشعر القديم والمحدث 0

(5) قراءة كتب المنطق واللغة 0

كل هذا حتى يكون التكوين العربي بكل أطرافه للمتعلم [1] 0

---

(1) قانون التأويل 417 – 419 0

الرحلة لقاء الشيوخ :-

أن في قصة نبي الله موسى عليه السلام من الفوائد الكثيرة والحكم العظيمة مبسوطة في كتب التفسير ، وقد ذكر الخطيب البغدادي(1) عن هذه القصة مايأتي :-

قال بعض أهل العلم : أن فيما عاناه موسى عليه السلام من الدأب والسفر ، وصبر عليه من التواضع والخضوع للخطر ، بعد معاناة قصده ، مع محل موسى من الله وموضوعه من كرامته وشرف نبوته دلالة على ارتفاع قدر العلم وعلو منزلة أهله ، وحسن التواضع لمن يُلتمس منه ويؤخذ عنه ، ولو ارتفع عن التواضع لمخلوق أحدٌ بارتفاع درجة وسمو منزلة لسبق إلى ذلك موسى عليه السلام ، فلما أظهر الجد والاجتهاد والانزعاج عن الوطن والحرص على الاستفادة مع الاعتراف بالحاجة إلى أن يصل من العلم إلى ماهو غائب عنه ، دل على أنه ليس في الخلق من يعلو على هذه الحال ولا يكبر عنها 0

وقد رحل غير واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث إلى البلاد البعيدة وعدة من التابعين بعدهم 0

وكان القاضي أبو بكر بن العربي من ركب البحر والبر في الطلب والبذل له ، وقد أفصح في غير مامرة أن لقاء الشيوخ الكبار همته ، ومدارسة المسائل الصعاب مطلبه ، والتزود من كل فضيلة تحصيله ، فحركته المسائل والعبارات ، وحيرته الألغاز والإشارات فلازال يفتش عند أهلها حلها ويبحث في البلاد مع التطواف عن من يستنير بعلمه لقراءتها وحل رموزها 0

وهنا يعبر عن فرحه بتدبير الله له أن لقي الصاغاني في بيت المقدس من غير عناء وكذا الغزالي في بغداد بعد ارتقاء وظل متنقلاً ما بين الطيوري والحلواني وشيخ الشيوخ الطوسي 0

فقلت هذا مطلوبي حقاً ، هذا بأمانة الله منتهى السالكين ، وغاية الطالبين للعلم المبين 0

---

(1) الرحلة في طلب الحديث 107- 108 0

ذكــر ما يتوصل إليـــه من هذا البحث :-

(1) بيان أهمية الرحلة (السفر) في التخصص 0

(2) بيان فائدة ضبط العلم الواحد والاستزادة منه 0

(3) بيان السفر إلى البلدان والأخذ عن أهم علماءها 0

(4) تحديد ميول الطالب في التحصيل العلمي 0

(5) أثــر الحاكم الذي يحتضن طلبة العلم وتذليل الصعاب لهم 0

(6) بيان أهمية حفظ القرآن الكريم للتخصص في الدراسات القرآنية 0

(7) أهمية التلقــي على المعلم في القراءات القرآنية 0

ويمكن جعل هذا البحث انطلاقة إلى دراسة جادة وعلمية نتبناها الجامعات الإسلامية في طرح رؤى جديدة مستمدة من سيرة العلماء والسلف الصالح بصورة مبتكرة وإعداد طلبة أكفاء يعكفون على التحصيل المثمـر البنـــاء 0